القصص القرآني

المحاضرة الأولى: القصة في اللغة والاصطلاح

يُعدّ القصص القرآني من أبرز الأساليب البيانية والتربوية في القرآن الكريم، لما له من دورٍ فاعل في ترسيخ العقيدة الإسلامية، وبناء المنظومة الأخلاقية، وتوجيه السلوك الإنساني، من خلال عرض نماذج مختارة من قصص الأنبياء والأمم السابقة. ولم يُقصد بالقصص القرآني مجرد السرد التاريخي للأحداث، وإنما جاء لتحقيق مقاصد تربوية، تتمثل في العبرة والاتعاظ، وبيان سنن الله تعالى في المجتمعات، وإبراز معالم الصراع الدائم بين الحق والباطل، بأسلوبٍ معجز يجمع بين جمال البيان وعمق الدلالة. وتنبع أهمية دراسة القصص القرآني من كونه مصدرًا غنيًا لاستخلاص الدروس والعبر، وربط مضامينه التربوية والفكرية بواقع الإنسان المعاصر.

أولًا: القصة لغةً//

١ ـ ذكر ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) في كتابه مقاييس اللغة:

"القاف والصاد أصلٌ صحيح يدلّ على تتبّع الشيء، يُقال: قصصتُ الأثرَ إذا تتبّعته، أي تتبّع الأخبار والأحداث شيئًا بعد شيء." وقد جاء هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿**قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا**﴾ [الكهف/ ٦٤].

٢ ـ ذكر الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) في كتابه المفردات في غريب القرآن:

" القصّ: اتباع الأثر، ويُستعمل في تتبّع الخبر وإيراده على وجه الترتيب والبيان، أي بيان الأحداث بطريقة متتابعة توضح المعنى والعبرة." ومما يدل على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ**﴾ [يوسف/ ٣].

٣ ـ قال ابن منظور (ت ٧١١هـ) في كتابه لسان العرب:

"القَصُّ: تتبّع الأثر، والقصص: الخبر يُتتبّع ويُروى على وجه الترتيب، أي أن القصص هو سرد الأحداث متسلسلة ومترابطة." ويؤيده قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ [يوسف/ ١١١].

ويبدو مما تقدم:

أن القصص لغةً هو: تتبّع الأحداث والأخبار وسردها مرتبةً ومتسلسلةً، وهو المعنى الذي يقوم عليه مفهوم القصص في القرآن الكريم.

ثانيًا: القصص اصطلاحًا//

تناول العلماء قديمًا وحديثًا مفهوم القصص القرآني بالتعريف والبيان، وتنوّعت عباراتهم باختلاف مناهجهم التفسيرية والتربوية، بقصد توجيه الإنسان إلى طريق الحق، وترسيخ العقيدة، وتقويم السلوك.

١ ـ أشار الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) إلى أن القصص القرآني

يتمثل في عرض القرآن لوقائع الأنبياء والأمم السابقة عرضًا حقيقيًا يقصد منه تثبيت المؤمنين وإقامة الحجة على المكذبين، وتوجيه الناس إلى طريق الهداية.

ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿**وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ**﴾ [هود/ ١٢٠].

٢ ـ كما يُفهم من كلام القرطبي (ت ٦٧١هـ) أن القصص القرآني

هو إخبار القرآن عن أحوال الماضين وما جرى عليهم من أحداث ليكون موضع اعتبار، وبيانًا لسنن الله في نصر المؤمنين وإهلاك المكذبين. ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿**فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الأعراف/ ١٧٦].

٣ ـ وبيّن ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) أن القصص القرآني

يتضمن أخبارًا صادقة عن الأنبياء وأقوامهم وما دار بينهم من دعوة وصراع، مع بيان العواقب التي انتهت إليها مواقف الإيمان والتكذيب. ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ**﴾ [آل عمران/ ٤٤].

٤ ـ وفي العصر الحديث يرى سيد قطب (ت ١٣٨٦هـ) أن القصص القرآني

عرضٌ واقعي للأحداث بأسلوب تصويري مؤثر يركّز على مواضع العبرة والتأثير النفسي لتحقيق البناء الإيماني والتوجيه التربوي. ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿**نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**﴾ [الكهف: ١٣].

٥ ـ عرّف منّاع القطان (ت ١٤٢٠هـ) القصص القرآني بأنه:

ما أورده القرآن الكريم من أخبار الأنبياء والأمم السابقة والوقائع الماضية، عرضها بأسلوبٍ هادفٍ يقصد به الاتعاظ والاعتبار، وترسيخ العقيدة، وتقويم السلوك الإنساني.

وخلاصة القول إن القصص القرآني :

هو عرض القرآن الكريم لوقائع حقيقية من حياة الأنبياء والأمم السابقة، بأسلوب هادف ومؤثر، يرمي إلى تحقيق الهداية، وترسيخ العقيدة، وأخذ العبرة، وبيان سنن الله في الحياة.

ثالثا : ورود لفظة قصص في القران الكريم

لقد وردت لفظة القصص ومشتقاتها في القرآن الكريم في مواضع متعددة، وقد استُعملت للدلالة على تتبّع الأخبار وسرد الأحداث على وجهٍ يحقق العبرة والهداية، ويبيّن سنن الله في الأمم السابقة، وفيما يأتي نماذج من الآيات التي وردت فيها هذه اللفظة:

- **قوله تعالى : ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ (هود / ١٢٠)**
- **قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾(يوسف /٣)**
- **قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(يوسف /١١)**

ويتضح من خلال هذه الآيات أن القصص في القرآن الكريم لم يرد لمجرد الحكاية، بل جاء لتحقيق العبرة والهداية، وترسيخ العقيدة، وتقويم سلوك الإنسان .

المحاضرة الثانية // مناهج القصص في القرآن

يتميّز القصص في القرآن الكريم بتنوّع أساليبه في العرض والسرد، إذ لم يأتِ على نمطٍ واحدٍ كما هو الحال في الكتب التاريخية أو الأدبية، بل جاء وفق مناهج متعددة تهدف إلى تحقيق مقاصد الهداية والتربية والعبرة. فالقرآن الكريم لا يعرض القصص لمجرد الحكاية، وإنما يوظّفها لإيضاح سنن الله في الكون، وترسيخ القيم الإيمانية والأخلاقية في نفوس البشر. وقد أشار عدد من الباحثين في علوم القرآن إلى جملةٍ من المناهج التي اعتمدها القرآن الكريم في عرض القصص، ومن أبرزها ما يأتي:

أولاً: المنهج التربوي

يقوم هذا المنهج على تهذيب النفس الإنسانية وتوجيهها نحو السلوك القويم من خلال عرض مواقف الأنبياء والصالحين وما تحلّوا به من صبرٍ وثباتٍ على الحق في مواجهة الابتلاءات. فالقصص القرآني يركّز على الدروس التربوية التي ينبغي أن يستفيد منها الإنسان في حياته.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما ورد في قصة يوسف (عليه السلام (، حيث عرضت السورة ما تعرّض له من ابتلاءات متعددة، كإلقائه في البئر وبيعه عبدًا وسجنه ظلمًا، ثم ختمت القصة بتمكينه في الأرض، ليكون في ذلك درسٌ

في الصبر والثقة بالله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف: ٩٢).

ثانياً: المنهج الوعظي والإرشادي

يهدف هذا المنهج إلى تذكير الناس بعاقبة الأمم السابقة، وذلك من خلال عرض ما حلّ بهم نتيجة تكذيبهم للرسل أو مخالفتهم لأوامر الله تعالى. ويقصد من ذلك تحذير الإنسان من الوقوع في الأخطاء نفسها التي وقعت فيها تلك الأمم.

ومن أمثلة ذلك ما ورد في قصص الأنبياء مع أقوامهم في عدد من السور مثل سورة الأعراف وسورة هود، حيث يبيّن القرآن عاقبة تكذيب قوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام.

وقوله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٠).

ثالثاً: المنهج الحواري

يُعد الحوار من أبرز الأساليب التي اعتمدها القرآن الكريم في عرض القصص، إذ يقدّم الأحداث من خلال حوارٍ بين الشخصيات، الأمر الذي يسهم في توضيح الفكرة وإبراز الصراع بين الحق والباطل.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك الحوار الذي دار بين موسى وفرعون في سورة طه، وكذلك الحوار بين إبراهيم عليه السلام وأبيه في سورة مريم.

وقوله تعالى:﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ۝ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ (طه: ٤٩–٥٠).

رابعاً: المنهج التصويري

يمتاز القصص القرآني بقدرته على تصوير الأحداث تصويرًا حيًا يجعل القارئ كأنه يشاهد المشهد أمامه، وذلك بفضل ما يتميز به الأسلوب القرآني من بلاغة وقوة تعبير.

ومن أمثلة ذلك تصوير مشهد انشقاق البحر في قصة موسى عليه السلام.

وقوله تعالى:﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (الشعراء / ٦٣)

خامساً: منهج التكرار

يتميّز القصص القرآني بتكرار القصة الواحدة في أكثر من سورة، غير أن هذا التكرار لا يأتي على صورة واحدة، بل يختلف الأسلوب والتركيز تبعًا لموضوع السورة ومقاصدها.

ومن أبرز الأمثلة قصة موسى (عليه السلام) التي وردت في مواضع متعددة من القرآن الكريم مثل (سور البقرة والأعراف وطه والقصص) ، حيث يبرز كل موضع جانبًا معينًا من القصة

وقوله تعالى : ﴿ نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (القصص / ٣)

سادساً: المنهج الإيجازي

يتسم القصص القرآني بالإيجاز والاختصار، إذ لا يذكر القرآن جميع تفاصيل القصة، وإنما يركّز على الأحداث التي تحقق العبرة والهداية.

ومن أمثلة ذلك قصة أصحاب الكهف في سورة الكهف، حيث لم يذكر القرآن أسماءهم ولا عددهم على وجه التحديد.

قوله تعالى : ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ (الكهف: ١٣).

سابعاً: المنهج الواقعي

يعرض القرآن القصص على أنها أحداث حقيقية وقعت في التاريخ، وليست مجرد حكايات خيالية، وذلك لإظهار سنن الله في الأمم والمجتمعات، ومن أمثلة ذلك قصة قوم عاد وثمود.

قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ (الفجر: ٦–٧).

ثامناً: المنهج المقارن

يقوم هذا المنهج على المقارنة بين موقف المؤمنين وموقف الكافرين داخل القصة الواحدة، مما يبرز الفرق بين طريق الحق وطريق الباطل، ومن أمثلة ذلك المقارنة بين موقف موسى عليه السلام وفرعون في سورة القصص.

قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص: ٤٠).

تاسعاً: المنهج الموضوعي

يعرض القرآن القصة أحيانًا في مواضع متعددة من سور مختلفة، بحيث يخدم كل موضع موضوع السورة التي ورد فيها، مما يدل على الترابط بين القصص القرآني ومقاصد السور.

ومن أبرز الأمثلة قصة آدم عليه السلام التي وردت في عدة سور مثل سور البقرة والأعراف والحجر وص.

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(البقرة: ٣٠).

يتضح من خلال ما سبق أن القصص في القرآن الكريم لم يرد لمجرد السرد التاريخي، بل جاء وفق مناهج متعددة وأساليب متنوعة، تجمع بين التربية والوعظ والتصوير الفني والحوار والتكرار والإيجاز. وتهدف هذه المناهج إلى تحقيق الغاية الأساسية من القصص القرآني، وهي هداية الإنسان وترسيخ القيم الإيمانية والأخلاقية في نفسه.